

إليه الصبر مفتاح الخيرات الإمام الكاظم عليه السلام نموذجاً

منبر
المحرم

الصبر مفتاح الخيرات

محاور الموضوع

- ١- معنى الصبر وأنحاده
- ٢- درجات الصبر
- ٣- الاختبار الإلهي
- ٤- طرق الاختبار
- ٥- من عوامل النجاح في الامتحان الإلهي
- ٦- نماذج صابرة

الهدف

الحث على الصبر والالفات الى صبر الامام الكاظم عليه السلام
تصدير الموضوع
يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(١)

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

تمهيد

نقرأ في هذه الآية أربع أوامر تمثل مفتاح السعادة ومصدر الخيرات والبركات على الإنسان في حياته المادية والمعنوية.

الأول: الصبر والاستقامة والصمود أمام الحوادث والمشكلات والمصائب والموانع التي يجدها الإنسان في حركته الدنيوية لتحديات الواقع وصعوبة الظروف.

الثاني: المصابرة، وهي من باب «مفاعلة» وتأتي بمعنى الصبر والاستقامة مقابل صبر واستقامة الآخرين، وفي الحقيقة فإن الدستور الأول ناظر إلى الصبر والاستقامة أمام أنواع المشكلات والحوادث التي يفرضها الواقع على الإنسان، أما الدستور الثاني فنناظر إلى الصبر والاستقامة أمام الأعداء، وعليه فكلما بذل الأعداء جهداً في سبيل المقاومة في ميدان القتال، فعلى المؤمنين أن يبذلوا جهداً أكبر من ذلك ويعيشوا الصبر بأقوى ممّا لدى العدو كي ينالوا النصر والغلبة عليه.

معنى الصبر وأنحاده

الصبر على ثلاثة أنحاء:

الصبر على الطاعة: أي المقاومة أمام المشاكل التي تعترض طريق الطاعة.

الصبر عن المعصية: أي الثبات أمام دوافع الشهوات العاتية

وارتكاب المعاصي.

الصبر على المصيبة: أي الصمود أمام الحوادث المرة وعدم الانهيار وترك الجزع والفرع.

فعن رسول الله ﷺ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»^(١).

درجات الصبر

حسب ما يفهم من الأحاديث الشريفة إن للصبر درجات، ويختلف الأجر والثواب عليه على ضوء مراتبه. فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «... فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»^(٢).

الاختبار الإلهي

يقول تعالى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» أولئك عَلَيْهِمْ صَلَواتُ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

- (١) - أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٩١.
- (٢) - أصول الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الصبر، ص ٩١، ح ١٥.

المُتَهْتَدُونَ»^(٣).

إن نظام الحياة نظام تكامل وتربية، وكل الموجودات الحية تطوي مسيرة تكاملها، حتى الأشجار تُعبر عن قابليّاتها الكامنة بالثمار، من هنا فإن كل البشر، حتى الأنبياء عليهم السلام، مشمولون بقانون الاختبار الإلهي.

يقول سبحانه: «أَحْسِبِ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^(٤).

وعرض القرآن نماذج لاختبارات الأنبياء عليهم السلام، إذ يقول: «وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ»^(٥). ويقول في موضع آخر بشأن

اختبار النبي سليمان عليه السلام: «فَلَمَّا رَأَىٰ مُوسَىٰ أَنَّهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَفَشَكَرَ أَمْ أَكْفَرَ»^(٦)

وعن لقمان: «إن الذهب يُجرب بالنار، والعبد الصالح يُجرب بالبلاء، فإذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»^(٧).

طرق الاختبار

هناك مظاهر عديدة للاختبار الإلهي، بالخوف والجوع والأضرار المادية والموت.

ولا ينحصر الاختبار الإلهي بالأمور السلبية - الشر - بل يعمّ الأمور الإيجابية.

- (٣) - سورة البقرة، الآية: ١٥٥ و ١٥٦.
- (٤) - سورة العنكبوت، الآية: ٢.
- (٥) - سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
- (٦) - سورة النمل، الآية: ٤٠.
- (٧) - حكمة لقمان، محمد الري شهري، ص ٨١.

الخير، كما يقول سبحانه: ﴿وَنَبِّئْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنَقَّبُوا﴾^(١).

وينبغي الإشارة إلى أنه ليس من الضروري أن يُختبر جميع الناس بجميع وسائل الاختبار، بل من الممكن أن يكون اختبار كل فئة بلون من الامتحان يتناسب مع الوضع الفردي والاجتماعي لتلك الفئة، فقد يُمتحن بعض الناس بوفرة المال، وبعض آخر بقلّة المال، وبعض بالكسبي والمنصب، وآخرون بالنساء، وغير ذلك من الامتحانات. أجازنا الله ممّا لا طاقة لنا به. هذا على المستوى الفردي، وأمّا على المستوى الجماعي فقد تُبتلى الأمة كآمة بقائد أو بإمام، أو بعدوٍ ليرى مدى نجاح الأمة كآمة بهذا الامتحان؟

من عوامل النجاح في الامتحان الإلهي:

إذا كان الامتحان الإلهي عامّاً لجميع البشر، وله مظاهر وطرق، فما هو السبيل لإحراز النجاح؟

١. أهم عامل للنجاح هو الصبر^(٢) ولذلك يقول تعالى في الآية: ﴿وَيُشِيرُ الصَّابِرِينَ﴾.

فمن الإمام علي عليه السلام: «لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمان»^(٣). وعنه عليه السلام: «حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر»^(٤).

٢. الالتفات إلى أنّ نكبات الحياة ومشاكلها مهما كانت شديدة وقاسية فهي مؤقتة وعابرة؛ وهذا ما يؤكده القرآن الكريم: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥).

٣. قوّة الإيمان بالله تعالى والعلم بأنّا إليه راجعون، ﴿وَيُشِيرُ الصَّابِرِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٦).

٤. الالتفات إلى أنّ الله سبحانه عالم بكل مجريات الأمور، عامل آخر في التثبيت وزيادة المقاومة. حين واجه النبي نوح عليه السلام أعظم المصائب والضغط

من قومه وهو يصنع الفلك، جاءه نداء التثبيت الإلهي ليقول له: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ ۚ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٧).

وعبارة «بأعيننا» كان لها وقع عظيم في نفس هذا النبي الكريم، فاستقام وواصل عمله حتّى المرحلة النهائية دون الالتفات إلى تقريع الكفار واستهزائهم. وقد ورد عن سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنّه قال عند تفاقم الخطب أمامه في كربلاء، واستشهد أصحابه وأهل بيته: «هُوَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ»^(٨).

٥. التدقيق في تأريخ الأسلاف، وإمعان النظر في مواقفهم من الاختبارات الإلهية، عامل مؤثر في إعداد الإنسان لاجتياز الامتحان الإلهي بنجاح.

نماذج صابرة

أ. الصبر على المصيبة: وهنا نذكر صبر ومصابرة امامنا الكاظم عليه السلام - ونحن في أجواء ولادته - امام اعدائه وتحمله السجن: اتفقت كلمة المؤرخين على أن هارون الرشيد قام باعتقال الإمام الكاظم عليه السلام وإيداعه السجن لسنتين طويلة مع تأكيده على سجنائه بالتشديد والتضييق عليه. قال ابن كثير: فلما طال سجن الإمام الكاظم عليه السلام كتب إلى الرشيد: «أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون»^(٩). ولم يزل ذلك الامر بالإمام عليه السلام ينقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شامك، وكان فاجراً فاسقاً، لا يتورع عن أي شيء تملقا ومداهنة للسلطان، فعلى في سجن الإمام عليه السلام وزاد في تقييده حتى جاء أمر الرشيد بدس السم للإمام الكاظم عليه السلام فأسرع السندي إلى انفاذ هذا الأمر العظيم واستشهد الإمام عليه السلام بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ هجري.

فالسّلام عليه يوم ولد ويوم صبر

وصابر ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً، ويوم يبعث حياً.

ب. الصبر عن المعصية: لقد خلد لنا القرآن تجربة مهمّة في هذا المجال، مرّ بها النبي يوسف عليه السلام حيث صبر عن معصية الله المشرعة أمامه حيث دعت إليه امرأة العزيز، مع ملاحظة الأسباب التي تقوى معها دواعي الموافقة.

إنّ الشباب المؤمن بحاجة - وخاصة في هذه الأيام - التي تنتشر فيها دواعي الفساد إلى الاقتداء بالنبي يوسف العظيم عليه السلام، بإرادته وصبره وجهاده لنفسه فإنه نعم القدوة والأسوة.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا فَتُهِدْهُمْ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٠).

ج. الصبر على الطاعة: مثاله صبر النبي إبراهيم عليه السلام وابنه النبي اسماعيل عليه السلام، وهذا نموذج رفيع من نماذج الصبر، حيث يُقدّم الإنسان ابنه لله فإنّ ذلك يحتاج إلى صبر وإرادة عظيمين. وأبرز مثال على ذلك صبر الإمام الحسين عليه السلام على تنفيذ أمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقدّم نفسه وأولاده وأرحامه وأصحابه، قرباناً لله سبحانه وطاعة لأمره.

ولن ننسى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان قامة الصبر، وهو أسوتنا وقودتنا؛ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١١).

خاتمة

يوجد في التأريخ من النماذج الصابرة غير المعصومة الكثير، وفي الحاضر نماذج مهمّة في الصبر كما في علمائنا الأبرار أمثال الامام الخميني والمقاومين المجاهدين، الذين نسمع عن قصص بعضهم في السجن وفي الحروب ما يُحير ويدهش العقول. ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١٢). ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١٣).

(٩). سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(١٠). سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(١١). سورة الزمر، الآية: ١٠.

(١٢). سورة الرعد، الآية: ٢٤.

(٦). سورة هود، الآية: ٢٧.

(٧). بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٦.

(٨). البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

(١). سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢). نهج البلاغة، الحكمة: ١٥٣.

(٣). ميزان الحكمة محمد الري شهري،

ج ٢، ص ١٥٥٩.

(٤). سورة الشرح، الآيتان: ٥ و ٥.

(٥). سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥ و ١٥٦.